نَسِيبَة وَمَسؤوليَّة المَرأة

لم يقتصر عمل نسيبة على تلك المواطن، وإنما كانت تنظر إلى أمور أخرى للمرأة حتى لا يفوتها فضل، ولا تقصر عن واجب، لهذا كانت تسأل عن كل ما تراه ضرورياً للمرأة.

أخرج الترمذي وحسّنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء بشيء.

فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1] [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قال النساء يا رسول الله ﷺ ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فنزلت الآية... =

وهذه الرواية تدل على وعي نسيبة لمهمة المرأة، وشعورها بمسؤوليتها، وهي تحاسب نفسها قبل أن تُحاسَبَ عند ربها، وتخشى أن تقصر عن واجب عليها، ولا تنتظر أن يأتيها من يدفعها للمساهمة، لهذا سألت رسول الله ﷺ عن مهمة المرأة ومسؤوليتها.

وجاء الجواب من السماء يضعها بجانب الرجل في العمل والثواب بهذا التفصيل الوارد بالآية الكريمة.

وأدركت نسيبة، وأدرك معها نساء المسلمين بأن مهمتهن ومسؤوليتهن لا تقل عن مسؤولية الرجل، في فهم العقيدة، والتضحية من أجل الدعوة، وأنه لا عذر لها أن تقعد عن أداء ما عليها أو تتلهى باهتماماتها الصغيرة حتى تغرق وتضيع، وتصبح هذه المظاهر غاياتٍ وأهدافاً.

وإن مسؤوليتها وقيامها بواجبها لا يتحقق إلا بعد فهمها للإسلام فهماً حقيقياً واعياً، يجعلها تدرك أن الإسلام والدعوة إليه، وتطبيق أحكامه هو حياتها

= وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قال النساء لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله تعالى (الآية) وانظر أسباب النزول ص١٣٥ من كتاب...؟؟

وذكر أن التي ذكرت ذلك أم سلمة والله أعلم.

ومصيرها، وبذلك تتبدل حياتها، وتتبدل أسرتها، وتتبدل نظرتها إلى الحياة؛ فهي لا تأخذ الإسلام زينة وطقوساً كما يفهمه بعض الناس، ولا تأخذ من الإِسلام جانباً أو مناسبات، بينما تتركه في جوانب، وتخرج على أحكامه في كثير من الأمور.

ها هي أم عمارة تدرك معنى الدخول في الإِسلام كما أدرك بقية الأنصار، يوم كان أهل المدينة كغيرهم من الجاهليين المشركين غارقين في ضلالاتهم وألهياتهم، وصراعاتهم على مغانم ومناصب ووجاهات. لقد بدأ دخولها في الإِسلام عندما أدركت أن حياتها الدنيوية ليس عبثاً، بل هي مرتبطة بحياة الآخرة، وهي دار امتحان وابتلاء، ستعقبها وقفة رهيبة أمام خالق الخلق لأخذ الحساب، عندها استسهلت كل صعب يحول بينها وبين الإِسلام، واستصغرت كل شأن من شؤون الدنيا أمام هذه العقيدة والإِيمان، ولهذا ذهبت تبايع رسول الله وسط المخاوف، وفي البلد الحرام حيث يترصد طغاة قريش خطوات رسول الله ﷺ وأتباعه، ويضعون حوله العيون والأرصاد، ومع ذلك كانت مع النفر الذين بايعوا عند العقبة، وحملوا هذه المسؤولية، وكان لهم في صفحات الآخرة مجداً وشرفاً.

هكذا أدركت المسؤولية بإدراكها تبعة الحساب ومصير الإنسان، وحقيقة الإيمان بالخالق العظيم، ومن هذا الإيمان الواعي انبثقت كل المسؤوليات وتوسع الوعي، وازداد الإحساس بثقل الأمانة.

وكان من مسؤوليتها بعد ذلك أن تسلك السلوك العملي الذي تقتضيه الدعوة، والتأدب بأدب القرآن، وأخلاق الإسلام، لا بأخلاق العصر وآداب العشيرة، تحولت إلى مسلمة تسارع إلى الطاعة، وتتجنب المعصية، تتجنب خلق الجاهليين، تتجنب الشبهات والمنزلقات ولا تخضع لنزوة نفس، أو نداء عاطفة جامحة، أو صبوة طارئة.

ولا تستجيب لعادات بيئة، أو تقليد قوم، أو أزياء عصر وحداثة، بل تزن كل ذلك بميزان الإسلام.

وتجد من مسؤوليتها أن تراعي ظروف الدعوة فتتنازل عن المباحات، وتقتصر على الضرورات، لأن الدعوة تحتاج إلى تضحيات، وتحتاج إلى بذل وصبر وكفاح، وهذا لا يتأتى للذين يركنون إلى الرفاه، ويؤثرون التنعم ولين العيش.

وترى من مسؤوليتها أن تتولى جانب التربية

الإسلامية الواعية في أسرتها، لأبنائها وبناتها، تربية عملية يومية، تبدأ من الكلمة إلى الحياة المتكاملة.

وأنشأت أبطالاً يفدون الإسلام بأرواحهم، ويتيقنون أن ما عند الله أبقى.

ولا يتأتّى لها ذلك ما لم تكن هي أهلاً لهذه المسؤولية، ولهذا كانت أم عمارة مع أخواتها المسلمات يحرصن على فهم الإسلام، وحضور الدروس مع رسول الله ﷺ، بل كن يطلبن تخصيص الدروس من رسول الله ﷺ. وليست الرواية التي مرت في مناسبة الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ . . .﴾ الآية إلا صورة من هذه الصور، والحوادث على هذا كثيرة، والأحاديث التي روتها النساء المسلمات من أمهات المؤمنين وغيرهن: عائشة وأم سلمة، وحفصة وزينب، وميمونة، وأسماء وأم سليم، ونسيبة (أم عطية أو أم عمارة وهي غير نسيبة هذه) وغيرهن كثيرات.

كل ذلك كان دليلاً على اهتمامهن بفهم الإسلام؛ لأنها مسؤولية وأمانة، وكيف تستطيع المرأة ـ فضلاً عن الرجل ـ أن تقوم بمهمة التربية الإسلامية الشاقة إذا كانت تجهل حقيقة الإسلام، وإذا كانت تجهل الحلال والحرام، وتجهل ما أوجب الله عليها معرفته؟

وكيف تستطيع المرأة أن تربي أبناءها تلك التربية القرآنية إن لم تجعل من نفسها قدوة لهم في التزامها بالإسلام وسلوكها اليومي، في حديثها، وعملها، وجميع تصرفاتها؟

وهذا ما وجدناه عند نسيبة التي أعدت أبناءها ذلك الإعداد الدقيق حتى كانوا نعم الأبناء، ونعم الشباب الدعاة المجاهدون.

ها هم يشاركونها في حضور البيعة، ثم يشتركون في أُحد، ويقفون معها للذود عن رسول الله ﷺ، يبذلون الدماء ويقدمون أرواحهم فداء للإسلام ولرسول الله ﷺ.

وها هو حبيب ينطلق مجاهداً فدائياً ليحمل رسالة النبي ﷺ إلى الطاغية الكذاب مسيلمة. حتى ظفر بالشهادة بعد أداء المهمة.

هكذا كانت التربية الحقة التي تدرك أن الإسلام حياة، وأن العقيدة أغلى من الولد، وأغلى من الأم والأب والحياة ذاتها.

ومن مسؤوليتها أن تكون مع الزوج عوناً له في الحياة، ومشاركة له في طاعة الله والقيام بأمر الدعوة،

تهيئ له الحياة المطمئنة المستقرة وتوفر له الأمن والاطمئنان والسكينة، وتقف معه لتحتمل أعباء الحياة، ومشاق الطريق في هذا العصر الذي يعيش فيه الدعاة الغربة الثانية، ويشعرون بأن استمساكهم بالدين كقبضهم على الجمر، ويكون عمل المرأة جهاداً حقيقياً حين تستطيع أن تدفع عن زوجها وساوس الشيطان، ومخاوف الطريق، وأن تشد أزره، وتقوي عزيمته وتبشره بثواب الله عز وجل.

ألم نر خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ كيف وقفت مع رسول الله ﷺ حتى نالت أعظم مكانة في الدنيا والآخرة، فكان لها تلك المكانة المهمة في حياة الدعوة؟

وهكذا كانت نسيبة، كانت مع زوجها في مواطن الشدة، وغزوات الرسول ﷺ، بل كانت بصحبة زوجها في البيعة كما كانت بصحبته في أحُد والخندق وحنين وغيرها.

وإن التي تكون كذلك لن يجد منها الزوج غير الحب والمرحمة والوفاء، وغير التشجيع والصدق والإِخلاص.

إن مسؤولية نسيبة كانت مسؤولية عظيمة، أعطتنا من حياتها نموذجاً واقعياً، لتحمل هذه المسؤولية، والقيام بالأمانة، ولهذا أضحت علماً بارزاً في سجل الخالدات. بالإيمان، والصدق، بالعمل والجهاد استحقت ما نالته من مكانة، وتركت لنا معالم طريق لكل امرأة مسلمة.

فهل ستسير المرأة المسلمة على هدي هذه المعالم؟!!.